الوظائف التداولية في التوجه النظري

د.هاجر محمد إبراهيم الجويلي[1]

مدخل:

ليس الخوض في هذا الموضوع بالأمر السهل أو المتاح ،فقلة المصادر وصعوبة المادة عينها ،من الأمور التي تجعل البحث في الوظائف التداولية وتطبيقها ومعرفة أثرها في تحليل النصوص الأدبية أمراً غاية في الصعوبة خاصة وأن هذه الوظائف تعتمد بشكل كبير على نظرية النحو الوظيفي، وسيوجز هذا البحث الضوابط التي تحكم هذه الوظائف من الجانب النظري.

الوظيفة بين الفكرة والمصطلح :

كما هو معروف فإن الاتصال عملية اجتماعية لا يمكن للمجتمع العيش بدونها ،هذه العملية التي لا تتم إلا بواسطة اللغة ،وفكرة تعدد وظائف اللغة ليست بجديدة فلا يمكن القول أنّ التداولية كانت السباقة إلى فكرة تعدد وظائف اللغة لأن هذه الفكرة بدأت مع بوهلر وطورت فيما بعد على يد جاكبسون الذي اعتبر الكلام المرسل من المخاطِب إلى المخاطَب بواسطة قناة الاتصال له وظائف لغوية متعددة منها :الوظيفة التعبيرية ،الوظيفة الندائية ،الوظيفة المرجعية، الوظيفة الشعرية، وظيفة إقامة الاتصال [2] ومن أهم النظريات التي أثرت في الوظائف التداولية نظرية النحو الوظيفي ،وتعدُّ النظرية الوظيفية التداولية الأكثر قابلية لشروط التنظير والإجراء التطبيقي على الظواهر اللغوية ،ولعل السبب في ذلك هو أن النحو الوظيفي ،الذي هو أساس الوظائف التداولية. يمتاز على غيره من النظريات الوظيفية بأنه خليط من النحو العلاقي (نحو الأحوال) ونظرية الأفعال اللغوية ،ودراسة اللغة بمراعاة استحضار الوظيفة المنوطة بها هو توجه غربي الغرض منه تطوير

1- قسم اللغة العربية. كلية الآداب . جامعة طرابلس

2. انظر النظرية اللسانية عند رومان جاكبسون ،فاطمة الطبال بركة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع ط1- 1993م بيروت ص66-67.

الدرس اللساني الغربي، والسبب في هذا التوجه هو دراسة استعمال اللغة في سياقات مختلفة ،فالفكرة التي يقوم عليها هذا التوجه هو دراسة اللغة باعتبارها كلاماً محدداً صادراً من متكلم محدد وموجها إلى متلقٍ محدد في مقام تواصلي محدد وليس دراستها باعتبارها بنية لغوية ، ومن أبرز النظريات التي اعتمدت هذه الفكرة نظرية النحو الوظيفي ، ولأن الوظائف التداولية تعتمد بشكل أساس على النحو الوظيفي وجب التفريق بين التوجه الوظيفي وغير الوظيفي، ومن أهم أوجه الاختلاف بينهما :

1 – إن وظيفة اللغة في النظريات غير الوظيفية هي: التعبير عن الفكر، في حين وظيفة اللغة في النظريات الوظيفية هي: وسيلة اتصال اجتماعي.

2. النظريات غير الوظيفية ترى في بنية اللغة نسقاً مجرداً يمكن وصف خصائصه بمعزل عن وظيفته، في حين ترى النظريات الوظيفية أن بنية اللغة لا يمكن أن ترصد خصائصها إلا إذا رُبطت بوظيفتها.

3. ترتكز قدرة المتكلم والمتلقي في النظريات غير الوظيفية على معرفته بالقواعد اللغوية المتعلقة بمستويات اللغة المختلفة ،أما في الوظيفية فقدرة المتكلم والسامع عندهم هي قدرة تواصلية ، تتعلق بمعرفة المتكلم بقواعد اللغة وكيفية استعمالها في العملية التواصلية .

4. في النظريات الوظيفية يحتل المستوى التداولي موقعا مركزياً داخل النحو ،حيث يحدد والمستوى الدلالي الخصائص الممثل لها في المستوى التركيبي والصرفي ،أما في غير الوظيفية فهذا المستوى إن وجد لا يقوم مع المستوى الدلالي إلا بدور التأويل [1] ولا تعدُ نظرية النحو الوظيفي الوحيدة في التوجه الوظيفي فهناك النظرية الوظيفية للجملة ،ونظرية البراقمانتكس،ونظرية التركيبات الوظيفية وهذه النظريات تأثرت بالنظرية التحويلية التوليدية، ونتيجة الصراع بين نموذجي النحو التحويلي والنحو

1 . انظر اللسانيات الوظيفية ، أحمد المتوكل ، منشورات عكاظ ، ط 1، 1989م المغرب ص 12–13.

الوظيفي ظهرت لدينا نظريتا التركيب الوظيفي و النحو الوظيفي ،حيث دخل المكون التداولي إلى كل النماذج التحويلية ومن ثمَّ كان البقاء في الساحة الوظيفية للأكفأ وهذا ما جعل نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك تظهر بقوة لتكون النظرية الوظيفية التداولية الأكثر استجابة لضوابط التنظير والإجراء التطبيقي ولكن عند الخوض في مفهوم الوظيفة نلاحظ أنها تحتاج إلى تحديد معناها لغة واصطلاحاً .

مفهوم الوظيفة لغة واصطلاحا.

في المفهوم اللغوي وردت لفظة وظيفة في المعاجم العربية بمعنيين: الأول يفيد التقدير أو التعيين في قول ابن منظور:" الوظيفة من كل شيء ما يقدر له في كل يوم من رزق أو طعام.....والوظيف لكل ذي أربع : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق" .

والمعنى الثاني : يفيد الدور يقول ابن منظور "وقوله:

أبقت لنا وقعات الدهر مكرمة ما هبت الريح والدنيا لها وظف

أي دول. وفي التهذيب هي شبه الدول مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء[1] ومعنى ذلك أن الدور مرة يكون لهؤلاء ومرة يكون لهؤلاء في أدوار الحياة وتغيراتها، وهذا أقرب إلى مفهوم الوظيفة فكما هو معلوم أن دور أي عنصر مرهون تحديده بالنظر إلى علاقته بغيره من العناصر وهذا الأمر يقودنا إلى القول أن الوظيفة عبارة عن علاقة قائمة بين طرفين ،فالوظائف النحوية ناتجة عن علاقات دلالية كعلاقة السببية والعلة واللزوم المشروط والانتماء[2] وقد فُرق بين مفهوم الوظيفة بمعنى الدور ومفهومها بمعنى العلاقة على أساس مفاده أن العلاقة رابط بنيوي بين مكونات الجملة، في حين الدور يخص اللغة

1 . لسان العرب ، ابن منظور ، تصحيح أمين محمد ومحمد الصادق ، ج10/ 692- 691.

2 . الوسائط اللغوية (اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية) محمد الأوراغي ، دار الأمان، ط1 – 2001م المغرب ص 495.

بوصفها نسقاً كاملاً [1]،ومفهوم العلاقة للوظيفة معروف ومتداول في التوجه النظري فهو يدل على العلاقات التركيبية كعلاقة الفاعل والمفعول به المباشر وغير المباشر، ولكن مفهومه في التوجه الوظيفي يكون للدلالة على كل العلاقات التي تقوم داخل الجملة ،فعلى سبيل المثال يميز النحو الوظيفي بين ثلاثة مستويات من الوظائف هي: الوظائف الدلالية (منفذ، متقبل، مستقبل، زمان ، أداة) ووظائف تركيبية هي:(فاعل ،مفعول) ووظائف تداولية هي: (محور ، بؤرة) هذا من ناحية مفهوم الوظيفة بمعنى العلاقة أما مفهومها بمعنى الدور فهو يربط بالغرض العام من اللغة [التواصل] والتعبير عن الفكر ، ومن هذا المنطلق نجد أن مصطلح الدور هو الأنسب ليطلق على الوظيفة والسبب في ذلك أنه أعم لارتباطه بالغرض العام للغة وهو التواصل واستيعابه لمفهوم العلاقة في الوقت ذاته ، فالفاعل والمفعول يؤديان أدواراً داخل الجملة ولكن هذه الأدوار لا يمكن تبيّن معالمها إلاّ بوجود علاقة بينهما فمثلا إذا وجد فعل واسم وربط بينهما بعلاقة إسناد فإن الاسم في هذه الحالة تسند له وظيفة الفاعلية ومن هنا نستنتج أن الوظيفة التداولية هي أيضاً نتيجة مترتبة عن علاقة تربط بين بنية الجملة والمقام الذي أنجزت فيه ، وبذا كانت مهمة النحو الوظيفي تحليل البنية اللغوية مع إعطاء أهمية للوظيفة التواصلية التي تخص عناصر هذه البنية[2]، إضافة لعلاقتها البنيوية .

التوجه الوظيفي(المهام والمبادىء).

تتلخص مهام اللساني المشتغل بنظرية النحو الوظيفي في نسقين من القواعد هما:

1. القواعد التداولية :وهي عبارة عن جوانب وظيفية تحكم التفاعل الكلامي باعتباره نشاطاً يقوم على مبدأ التعاون.

---

1 – انظر التركيبات الوظيفية ، أحمد المتوكل ، دار الأمان ، ط 1– 2005م المغرب ص 23.

2. انظر المصدر نفسه ، ص 104.

2. القواعد الدلالية والتركيبية والصوتية وهي عبارة عن جوانب صورية تحكم العبارات اللغوية المستعملة.

ولا يكتفي اللساني المشتغل بنظرية النحو الوظيفي بوضع القواعد فقط ،بل هو مطالب بشرحها وتفسيرها وتطبيقها على نماذج أيضاً ، ويؤيد هذا الاتجاه أحمد المتوكل الذي يرى أن التنظير في اللسانيات يستلزم عدم الوقوف عند مستوى الرصد والوصف للوقائع اللغوية محط الدرس ، بل يجب تجاوز ذلك إلى مستوى أعلى من خلال الشرح والتفسير لهذه الوقائع [1]ويعتمد تفسير هذه الوقائع اللغوية على أساسين الأول: تفسير داخلي يتعلق بربط الوقائع بافتراضات نظرية عامة يسنها اللساني لتعليل الظواهر المزمع وصفها ، والآخر: تفسير خارجي وهو تفسير يستقي تصوره من نظريات غير لسانية يستعان بها بهدف تعزيز الافتراضات وتقويتها تلك التي قدمها المشتغل بنظرية النحو الوظيفي ، ومن ذلك اللجوء إلى النظريات النفسية لإثبات الكفاية النفسية لقواعد النحو الوظيفي ،بمعنى إثبات أن هذه القواعد مطابقة لنموذجي إنتاج العبارة اللغوية وتأويلها ،ويكون ذلك من خلال الانعكاس السلوكي الذي يحدثه مستعمل اللغة أثناء هاتين العمليتين [2] ويستعين اللساني الوظيفي في دراسته بالملفوظات الموجودة في الخطاب الشفوي أو المكتوب ،لأنها المصدر الأساس الذي يزوده بأفضل صور استعمال الناس للغتهم اليومية ، وهذا الأمر يقود اللساني إلى مراعاة المبادئ والتوجه الوظيفي الذي تفرضه اللسانيات الوظيفية ومن أهم المبادئ العامة التي ميزت بين ما هو وظيفي وغير وظيفي [3] الآتي:

1 . أداتية اللغة:

---

1. انظر الوظيفية بين الكلية والنمطية ،أحمد المتوكل ،دار الأمان ط 1– 2003 م . المغرب ص 64.

2. انظر المصدر نفسه ، ص 64–65.

3 . انظر المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ،أحمد المتوكل ، دار الأمان ،ط 1–2006م المغرب ص 19–20 .

يذهب أصحاب التوجه الوظيفي إلى اعتبار اللغة أداة تعمل على تحقيق عملية التواصل داخل الجماعات البشرية ، ومعنى الأداتية أن العبارات اللغوية سواء أكانت مفرداتٍ أم جملاً هي وسائل تستعمل لتأدية أغراض تواصلية معينة ولكل وسيلة غرض معين ، فمثلاً عند قولنا:

أ – أعطيت الطالب كتاباً.

ب– كتابا أعطيت الطالب.

يرى أصحاب التوجه الوظيفي أن علة تأخير المفعول به في الجملة (أ) هي إخبار المخاطَب بمعلومة جديدة غير متوافرة لديه، في حين تكون علة التقديم في الجملة (ب) هي تصحيح إحدى معلومات المخاطَب على اعتبار أن الجملة (ب) هي رد يلغي جملة أخرى متوافرة لدى المخاطَب .

2 . وظيفة اللغة الأداة:

اللغة أداة طيعة في يد المتكلم، ولو تساءلنا عن وظيفة هذه الأداة سنجد أن هناك إنجازات كثيرة يحققها الإنسان عن طريق هذه الأداة ،فبواسطة اللغة يستطيع نقل كل ما يدور في ذهنه ويعبر عنه، بل ويستطيع أن يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يستخدمها للإقناع والتأثير في غيره ،وللغة وظائف كثيرة لكن ما يلفت الانتباه هو الحوار حول إشكالين اثنين هما: هل للغة وظيفة في المطلق؟ وإذا ثبت ذلك فهل تكون وظيفة واحدة أو عدة وظائف؟ تباينت الآراء حول هذا الطرح واتجهوا في ذلك ثلاثة اتجاهات ،اتجاهاً ذهب إلى عدم إمكانية تعيين وظيفة للغة وتحديدها ويعدُّ تشومسكي من أنصار هذا التوجه ، اتجاهاً ثانياً رأى أن وظيفة اللغة في الأساس هي التعبير عن الفكر، واتجاهاً ثالثاً رأى أن للغة وظائف عدة تؤول كلها لوظيفتها التواصلية [1] ولم يتوقف الأمر عند إثبات الوظيفة للغة بل تجاوزه إلى القول بتأثير وظيفة اللغة على بنيتها ذلك أن الرابط بين الوظيفة والبنية يساعد على وصف وتفسير خصائص اللسان وتفسيرها، حيث تعدُّ هذه الخصائص انعكاساً صورياً لوظيفة

1– انظر التركيبات الوظيفية ، ص29.

اللغة ، ودعَّم الذين قالوا بصحة الترابط بين بنية اللغة ووظيفتها قولهم بما أسموه التركيب المحكوم ويقصد به : مجموعة السمات التركيبية التي لا يمكن تحديدها إلا بالعودة إلى الخلفية الوظيفية بشقيها الدلالي والتداولي [1] والأمثلة التي تؤيد هذا الاتجاه كثيرة ، فعلى سبيل المثال الحرف (من) يستعمل عادة مسبوقاً بأداة نفي مثل : [ما واساني في المحنة من صديق] لكنه قد يرد في جملة استفهامية شرط أن تكون هذه الجملة حاملة للقوة الإنجازية وهي الإنكار مثل : [هل واساني من صديق] كذلك الحال مع الأداة (أو) حين ترد في صدر الجملة الاستفهامية كالأداتين هل والهمزة إلاَّ أنها تتصدر الجملة الاستفهامية لاستلزام الإنكار كما في قولك : [أو تقول الكذب] وكلا الأداتين عبرتا عن قوة إنجازية مستلزمة وهي الإنكار .

3. اللغة والاستعمال:

يحدد نسق الاستعمال في حالات كثيرة قواعد النسق اللغوية والدلالية والمعجمية والنحوية والصوتية والصرفية [2] فمثلا جملة [ناولني الكتاب من فضلك] تقال هذه الجملة عندما تكون أدوار المتخاطبين متساوية ،فإذا كان اتجاه العلاقة الفاعلة إلى درجة أقل كأن يكون المتكلم أقل درجة من السامع في هذه الحال يكون نسق الجملة [هل تستطيع أن تناولني الكتاب من فضلك] ويفرق أحمد المتوكل بين نوعين من السياق لفهم العبارة بدقة وهما :سياق مقالي وسياق مقامي.

4 . سياق الاستعمال:

ذكر المتوكل [3] أن سياق الاستعمال سياقان سياق مقالي وسياق مقامي ، والسياق المقالي هو عبارة عن مجموعة الجمل المنتجة في موقف تخابري معين وفي هذا السياق يتم مراعاة العناصر اللغوية المذكورة وعلاقة بعضها ببعض ،أما السياق المقامي فهو مجموعة المعارف التي تتوافر في

1 . انظر المصدر نفسه ، ص30.
2 . انظر المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، ص 21.
3. انظر المصدر نفسه ص ،23.

موقف تواصلي معين لدى المتخاطبين ، وتنقسم هذه المعارف إلى قسمين : معارف آنية وهي معارف تكون حاضرة في موقف التواصل ، ومعارف عامة وهي تكون غير حاضرة في موقف التواصل، لكنها تكون مخزونة في الذهن حين التخاطب ، فحتى نفهم المدلول الذي يحيل عليه اسم الإشارة في مثل قولك :[ناولني ذلك من فضلك] يجب استحضار المحال عليه الموجود ودون هذا لن نفهم المقصود باسم الإشارة ،ويسهم المخزون المعرفي كذلك في تحديد سلامة العبارة اللغوية من عدمها ، فقد تكون العبارة سليمة نحوياً ولكنها غير سليمة لخرقها معرفة من المخزون الذهني عند المخاطَب فعلى سبيل المثال عندما يسمع مخاطَب ما جمل [الأهرامات معْلم أثري من معالم الاسكندرية] النتيجة ستكون أن هذا المخاطَب لن يقبل هذه الجملة رغم أنها صحيحة نحويا ودلالياً والسبب في ذلك أنها غير صادقة معلوماتياً .

5. اللغة والمستعمل:

من الأمور التي ركز عليها التوجه الوظيفي اللغة والمستعمل ، وذلك لتميز هذا المبدأ بما يعرف بوجه الاستعمال والذي يراد به العنصر الذي يحيل على موقف يتخذه المتكلم إزاء واقعة ما أو قضية معينة ، ومعنى ذلك أن وجه الاستعمال يرتبط بعلاقة المتكلم مع ما يتضمنه الخطاب فإما يؤكد أو يشكك فيه أو يستغربه أو يتمنى وقوعه أو يستبعد تحققه أو بمدحه أو ذمه إلى غير ذلك من المواقف [1] فوجه الاستعمال يعكس موقف مستعمل اللغة مما يورده وتتمحور أهميته في كونه أحد مكونات الجملة ، فحمولة الجملة تتكون من ثلاثة عناصر هي : مضمون الجملة القضوي ، القصد من إنتاجها ،

1 انظر الإنشاء وأساليبه بين ألفية ابن مالك والنحو الوظيفي ، نعيمة الزهري ،ضمن كتاب التداوليات ، علم استعمال اللغة إعداد حافظ إسماعيل علوي ، عالم الكتب الحديث، ط 1-2011م الأردن ص 526.

موقف المتكلم من المضمون القضوي [1] وهذا ما جعل موقف مستعمل اللغة متميزاً لأنه ليس علاقة بين متخاطِبين وإنما علاقة بين متكلم ومضمون .

6. القدرة اللغوية:

يفرق التوجه الوظيفي بين معرفة المتكلم للغته وبين التحقيق الفعلي لهذه المعرفة اللغوية في المواقف التخابرية المعينة ، ويرى التوجه الوظيفي أن القدرة اللغوية لا تنحصر في المعرفة اللغوية فحسب بل تتجاوزها إلى كيفية استثمار هذه المعرفة اللغوية لخدمة سياقات تواصلية معينة، وتعدُّ هذه المبادئ الأسس المنهجية التي يجب مراعاتها واستحضارها حال بناء الاتجاهات الوظيفية وصياغتها ،فمن أهم شروط التنظير اللساني وكذلك العلمي الانسجام حتى لا تتناقض صياغة النموذج مع ما تتبناه النظرية من فرضيات عامة عن بنية اللغة ووظيفتها ،وهذا التوجه الوظيفي حين صاغ جهازه الواصف أسسه على إضافة مكون تداولي شكَّل مع المكون الدلالي مدخلاً للمكون الصرفي والتركيبي [2] .

. الوظائف التداولية وربطها بالنظرية الوظيفية المثلى.

يضم التوجه الوظيفي بين طياته الكثير من النظريات مثل : النظرية النسقية الوظيفية ،الوجهة الوظيفية للجملة ، التركيبات الوظيفية ، الفرضية الإنجازية ، نظرية النحو الوظيفي، ولكن لم يكتب لعدد منها الاستمرار على الساحة الوظيفية فتوقف مثل الوجهة الوظيفية للجملة والفرضية الإنجازية وفي المقابل نجد بعضها الأخر استمر وظل حاضراً في الدرس اللساني الحديث ،كالنسقية الوظيفية ونظرية النحو الوظيفي اللتين شكلتا نظرية لسانية قائمة بحد ذاتها ،ووضع المتوكل معاييرَ للمفاضلة بين هذه النظريات ذات التوجه الوظيفي وعدَّ النظرية التي تنطبق عليها هذه المعايير هي النظرية الوظيفية المثلى ، فكانت النظرية المثلى حسب توجهه هي "مجموعة من المواصفات نستخلصها مما تطمح إليه النظريات ذات المنحى الوظيفي وتجتهد في تحقيقه

1 . انظر المنحي الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 25.
2 . انظر المصدر نفسه ص 41.

أو في تحقيق القسط الأوفر منه [1] ومعنى ذلك أنه لكي توسم النظرية الوظيفية بالمثلى يجب أن تتضمن مجموعه من المواصفات تنطلق من .

أولاً : الأساس الذي انبثقت منه هذه النظرية .

ثانياً : الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه.

ثالثاً : الطريقة المتبعة في تطبيق هذه المواصفات.

وهذا الأمر حققته نظرية النحو الوظيفي حيث استطاعت الدخول في مجالات لسانية مختلفة مثل : الترجمة، الاضطرابات اللغوية ، التواصل الإشاري ، الكفاية الحاسوبية ، وكما سبق وأسلفت فإن الوظائف التداولية اعتمدت اعتماداً كلياً على نظرية النحو الوظيفي ومن هنا يتسنى لنا القول أنها ارتبطت بما يعرف اصطلاحاً بالنظرية الوظيفية المثلى ، وهذا يعني أن نظرية النحو الوظيفي قد بلغت مستوى عالياً في سعيها لإحراز الكفاية التفسيرية حين ربطت دراسة اللغة بقضايا الاكتساب ، والمدقق في هذه النظرية سيلحظ أنها رسمت لنفسها منهجاً واضحاً ودقيقاً ووضعت أطراً عامة عملت بها.

. نماذج نظرية النحو الوظيفي.

ميز الدارسون بين نموذجين لنظرية النحو الوظيفي هما:

. نموذج النحو الوظيفي ما قبل المعيار.

شمل هذا النموذج كل الدراسات المتعلقة بمجالات الدلالة والتداول والمعجم والتركيب ووضع كل ذلك في إطار الكلمة والجملة بنوعيها[البسيطة والمركبة] ولأنه اهتم بالجملة وركز على البسيطة منها سمي بنموذج الجملة وميز فيه سيمون ديك بين ثلاث بنى أساسية مكرر للجملة هي : البنية الحملية أو كما يسميها المتوكل الخزينة وهي تتكون من عنصرين هما : المعجم وقواعد تكوين المحولات والحدود ،والحمل هو واقعة من وقائع العالم الخارجي الممكنة مثل واقعة(عمل ، حدث ، وصف ، حالة) لمحمول الجملة ومجموع الحدود التي يفرضها ، فالمحمول تركيبياً ينتمي إلى فعل أو اسم بينما

1 . انظر المصدر نفسه ص 43.

تدل الحدود على المشاركين في الواقعة فتكون موضوعات أو لواحق تدل على ظروف محيطة بالواقعة من زمان او مكان فمثلا لو قلنا: . زار أحمد علياً البارحة في البيت.

عند التأويل سنجد أن المحمول وهو الفعل [زار] دل على واقعة معينة وهي زيارة حصلت من طرف لطرف أخر ومن ثم كان هناك مشاركان اثنان في الواقعة هما ذات منفذة للزيارة وهو أحمد وذات مستقبلة للواقعة وهو علي أما ظرفا الزمان والمكان فيحددان بمشاركين لا تقتضيهما الواقعة بالضرورة كما في المشاركين السابقين أحمد وعلي ولذلك نعدهما لاحقين وهما : البارحة ، البيت ،وترجمة الإطار الحملي للجملة السابقة يكون على النحو الآتي : [(زار فا،(س1 : إنسان (س1)) منفذ (س2 : إنسان(س2)) مستقبل (ص1) زمان ،(ص2)) مكان)].

وتعدُّ الذوات المتحدث عنها سابقاً تمثيلاً لدلالة محمول الجملة وللوظائف الدلالية التي تتقيد بها وبهذا تكون البنية العامة للحمل في النحو الوظيفي تقوم على محمول مضافاً إليها حدوداً ولواحق [1] .

. أنواع البنية: تتكون البنية من بنية وظيفية وبنية مكونية ، والبنية الوظيفية تنشأ من نقل بنية حملية تامة إلى البنية الوظيفية ويتم ذلك عن طريق تطبيق قواعد إسناد الوظائف وقواعد تحديد مخصص الحمل ، وبهذا ترتكز على بنيتين هما : بنية تركيبية وبنية تداولية حيث يتم إسناد وظيفة الفاعل والمفعول على المستوى التركيبي وإسناد مجموعة من الوظائف التداولية إلى مكون الجملة على مستوى البنية التداولية وذلك بالنظر إلى المعلومات الإخبارية التي تحملها هذه المكونات بعد تفاعلها مع السياق ،أما البنية المكونية فيقصد بها البنية الصرفية والنحوية وهي تدور حول ما يسمى بقواعد التعبير مثل قواعد الإعراب الخاصة بإسناد الحالات الإعرابية وقواعد ترتيب عناصر الجملة وقواعد الظواهر فوق التركيبية.

1. انظر الوظيفة والبنية مقاربة وظيفية لبعض قضايا الترتيب في اللغة العربية ، أحمد المتوكل ، منشورات عكاظ ،1993.م المغرب ص 31-32.

. نموذج النحو الوظيفي المعياري.

يقوم هذا النموذج بدراسة جملة من القضايا المعجمية والتداولية في إطار الجملة المركبة والمعقدة حيث أعيد النظر في هذه القضايا بإدخال بعض التعديلات لتناسب إنتاج الخطاب أو النص الأدبي ،فنظرية النحو الوظيفي لم تقف عند حدود دراسة ووصف القدرة التواصلية في الخطاب بل تجاوزتها إلى معارف وطاقات أخرى إضافة إلى الطاقة والمعرفة اللغوية النحوية [1] وهذا لا يتم إلا من خلال نموذج مستعملي اللغة الذين يتواصلون فيما بينهم عن طريق خطابات تعتمد على القدرة التواصلية المتكاملة ، وتتكون هذه القدرة من خمس ملكات هي : الملكة اللغوية ، الملكة الاجتماعية ، الملكة المعرفية ، الملكة المنطقية ، الملكة الإدراكية أو الشعرية ، والمحصلة التي ينتجها تفاعل هذه الملكات مع بعضها مع بعض تسمى الخطاب الذي هو . اعتماداً على أن عملية التواصل تتم عبر النصوص . ليس مجرد سلسلة اعتباطية من جمل مصفوفة وإنما هو عبارة عن مجموعة من الجمل البسيطة والمركبة تشكل علاقة تواصلية تحكمها مجموعة من الضوابط .

. ضوابط الوظائف التداولية.

تقسم الوظائف التداولية إلى وظائف داخلية ووظائف خارجية ، الوظائف الداخلية تنضوي تحتها وظيفتان هما : البؤرة والمحور وهما عبارة عن علاقتين تربطان بين مكونات الجملة حسب السياق الذي تنجز فيه حيث تقوم كل من البؤرة والمحور بتحديد وضع المكونات داخل البنية الإخبارية بالاعتماد على أساس الوضع التخابري المرتبط بالمقام إضافة إلى قيامهما بتحديد العلاقة التي تربط بين مكونات الجملة بحسب الوضع التخابري بين المتكلم

1 . انظر المنحى الوظيفي ص 59-63.

والسامع([1]) أما الوظائف الخارجية فهي التي يتم فيها الإسناد إلى مكونات تتموقع خارج الجملة .

. الوظائف الداخلية تنقسم إلى :

. الوظيفة المحور وهي عبارة عن المكون الدال على المكون الذي يشكل مركز الحديث عنه في الجملة ([2]) ويمكن تحديد هذه الوظيفة عن طريق الإحالة الأساسية إلى الذات المتحدث عنها في الإسناد مثل :

(أ)متى سافر محمد ؟ (ب) سافر محمد البارحة يشكل المكون محمد هنا محور الجملة (أ) والجملة (ب) وعلى أساس الوضع التخابري بين المتخاطِبين في سياق معين فإن محمد يأخذ وظيفة المحور طبقاً لضابط الوظائف التداولية الداخلية فيكون المكون محمد محور الاستخبار في جملة الاستفهام ثم يتحول إلى محور الإخبار في جملة الجواب وينقسم المحور حسب نظرية النحو الوظيفي إلى أربعة محاور هي :

. المحور الجديد : وهو الذي يذكر لأول مرة في الخطاب ويتفرع إلى عابر وماكث.

. المحور المعطي : وهو المحور الذي يعاد ذكره في الخطاب ويستمر إلى نهايته ويتفرع إلى منقطع ومستمر.

. المحور الفرعي: وهو المحور الذي يعاد ذكره من خلال الإحالة الجزئية عليه أو على أحد مشتملاته .

. المحور المعاد : وهو المحور الذي يعاد ذكره مباشرة عن طريق الإحالة التامة ويتفرع إلى معاد مكرر وتام ،وجزئي ،ومعاد تام ، وفرعي جزئي.

ويمثل للأنواع السابقة بالمثال الآتي : [زار ليبيا وفد مصري (محور جديد) ووفد تونسي (محور جديد) ووفد مغربي(محور جديد) تجول الوفد المغربي

1 . انظر نحو اللغة العربية الوظيفي في مقاربة أحمد المتوكل ، عبد الفتاح الحموز ، دار جرير للنشر والتوزيع ، ط 1-2012.م الأردن ص 109.

2 . الوظائف التداولية في اللغة العربية ، أحمد المتوكل ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط 1-1985م المغرب ص

(محور معطي) في شوارع طرابلس ..... يقف أثناء تنقله في طرقاتها ليبعث في نفوس المارة الأمل بالسلام (محور فرعي) وقد سعد رئيس الوفد المغربي (محور معاد)بترحيب الشارع في طرابلس].

ولكي تسند وظيفة المحور يجب مراعاة ضوابط الإسناد وأهمها ألاَّ يسند للموضوع الواحد أكثر من ثلاث وظائف وتتمثل هذه الوظائف في الأدوار التي يأخذها كل محل من محلات الموضوع بالنسبة للواقعة التي يدل عليها المحمول ،فلا يمكن للمكون الواحد أن يحمل أكثر من وظيفة واحدة من الوظائف التداولية والدلالية والتركيبية [1] كأن يحمل مكون واحد وظيفتي الفاعل والمفعول معاً في الوظائف التركيبية ،أو يحمل الموضوع الواحد وظيفتي البؤرة والمحور في الوظائف التداولية وقد اعتمد في ذلك على قيد أحادية الإسناد وفي الوقت نفسه يمكن أن يسند إلى أكثر من موضوع وظيفة واحدة كأن تسند وظيفة الفاعل إلى أكثر من موضوع واحد ،والذي يلاحظ على هذه القاعدة أنه يمكن تطبيقها على الوظائف التركيبية والدلالية في حين لا يمكن أن تصدق على الوظائف التداولية كأن تسند وظيفة المحور لأكثر من موضوع مثل :

(أ). ألقى الأستاذ المحاضرة في مسرح الجامعة.

(مح)

(ب). أين ألقى الأستاذ المحاضرة؟

(مح)

في الجملة (أ) المحور هو الأستاذ وفي الجملة (ب) المحور هو المحاضرة ولا يمكن أن تسند وظيفة المحور في الجملة (أ) للأستاذ والمحاضـرة في ذات الجـملة وقد استفاد أحمد المتوكل [2] من رأي النحاة العرب القدامى في علاقة

1 . انظر المصدر نفسه ص 40.

2 . انظر المصدر نفسه ، ص 74.

الإسناد بين الفعل والفاعل حيث ذهب إلى أن الوظيفة المحور تسند إلى المكون المفعول والمكون الزمان على التوالي غير أن المكون المفعول له الأسبقية في نيل هذه الوظيفة .

. ترتيب المكونات داخل الجمل .

ترتب المكونات داخل الجمل الفعلية والاسمية والرابطية على النحو الآتي:

. نمط الجملة الفعلية = م4 ،م2 ، م1 ، مꝏ

فعل فاعل مفعول (ص) م4

المنادى ،المبتدا،الصدارة، المحور

محور بؤرة الذيل.

. نمط الجملة الاسمية = م 4 ، م2 ، م1 ، مꝏ فا م ص

م س م ح (مف) (ص)،م3 م ظ

. نمط الجملة الرابطية = م4 ، م2، م1، مꝏ ط فا م ص م س

م ح (مف) (ص) م3 م ظ

والملاحظ أن نمط الجمل اختصر بترميزها ولكل رمز دلالته التي وضعت له يبين على النحو الآتي:

(م1) يعني الموقع الذي تحتله الأدوات التي تتصدر الجملة مثل أدوات الاستفهام والشرط والمؤكدات.

(مꝏ) يعني الموقع الذي تحتله المكونات التي تلحق بها وظائف تداولية مثل المحور والبؤرة.

(م2) يعني الموقع الذي تحتله مكونات مسندة إليها وظيفة المبتدأ.

(م3) يعني الموقع الذي تحتله مكونات مسندة إليها وظيفة الذيل.

(م4) يعني الموقع الذي تحتله مكونات مسندة إليها وظيفة المنادى.

والدارس لهذه الرموز يلحظ أن هناك إشكالاً في تبين موقعية الوظائف الداخلية (مꝏ) لأنها تضم وظيفتي المحور والبؤرة ،أما باقي الرموز فهي ذات مواقع واضحة لأنها تؤدي وظائف خارجية، ولتفادي هذا الإشكال وحله وضع

المتوكل ([1]) شروطاً خاصة بموقعية المحور في أنواع الجمل المختلفة ،وبما أن وظيفة المحور تسند إلى أحد مكونات الحمل فإننا بموجب ذلك نسلم أن المكون المسندة إليه وظيفة المحور يحتل الموقع(مᵒ) فإذا كان للمكون المسندة إليه وظيفة المحور موقعاً في صدر الجملة فإنه في هذه الحالة يضبط بحسب نوع الجملة ، فصدر الجملة كما هو معروف يحوي المواقع الثلاثة (م2 ، م1 ،م ᵒ)لذا لا يمكن أن يحتل المكون المسندة إليه وظيفة المحور والذي يكون متصدراً للجملة الموقع (م2) المخصص للمبتدأ ومن هنا نستنتج أن وظيفة المحور تسند إلى المعلومة المشتركة بين المتكلم والمتلقي.

. ضوابط نمط الجملة الفعلية في موقعة (مᵒ).

يشترط في المكون الذي تسند إليه وظيفة المحور خضوعه لقيد أحادية الإسناد فلا يتموقع في وظيفة المحور أكثر من مكون واحد وفق نمط الجملة الفعلية سابق الذكر، ومفاد هذا القيد أنه إذا وجد في الحمل نفسه أكثر من مكون مسند إليه وظيفة المحور فإنه في هذه الحالة يتموقع في وظيفة المحور مكون واحد فقط شرط أن يكون الحامل لهذه الوظيفة عبارة محيلة حاملة للمعلومة الكافية والتي من شأنها تمكين المخاطَب من التعرف على ما أحيلت عليه تلك المعلومة ، ويرى المتوكل أن هناك مكونات لا تتمكن من التموقع في وظيفة المحور مثل المكون الذي أسندت إليه الوظيفة التركيبية (الفاعل) والمكون الذي أسندت له الوظيفة الدلالية (المصاحب) المفعول معه وفي حال ما أسندت يظل الفاعل ممثلاً للموقع (فا) الذي توجبه الوظيفة التركيبية ومن ثم لا يمكن وسمه بالرمز(مᵒ) والسبب في ذلك أنه إذا ما عدَّ في موقع المحور سيتقدم الفاعل على فعله ويتحول إلى مبتدأ ويخرج من وظيفته الداخلية إلى الوظيفة الخارجية (م2) وتسند وظيفة الفاعل والمحور إلى الضمير المستتر بعد الفعل.

. قيود نمط الجملة الاسمية في موقعة (مᵒ) .

---

1 . انظر المصدر نفسه ص 120-121 .

رتبت مكونات الجملة الاسمية وفق بنية سبقت الإشارة إليها وعند المقارنة بين البنيتين الموقعيتين للجملة الاسمية والفعلية ، نلحظ أنهما تتشابهان في أغلب المواقع باستثناء المحمول الذي يكون في الجملة الاسمية مركباً وصفياً أو حرفياً أو اسمياً أو ظرفياً مع تقدم الفاعل على موقع المحمول في الجملة الاسمية وتأخره في الجملة الفعلية ، وقضية الفاعل ووظيفة المحور في نمط بنية الجملة الاسمية تقودنا إلى ضوابط وضعها المتوكل خاصة بموقع المكون المسندة إليه وظيفة المحور حال كونه فاعلاً أو غير فاعل .

. موقع المحور إذا كان غير فاعل:

يحتل المكون غير الفاعل الذي أسندت له وظيفة المحور الموقع الذي تخوله إياه وظيفته الدلالية أو التركيبية كما في الأمثلة الآتية:

(أ). فاطمة مسافرة غداً أسندت هنا وظيفة المحور لغير الفاعل وهي المكون(غداً) ظرف زمان وسبب اكتساب هذا المكون وظيفة المحور هو ما أعطته له وظيفته الدلالية أضف إلى ذلك أنه عبارة محيلة أحادية الموقع مثل:

(ب). أحمد ذاهب إلى المسجد (مكان ، محور) الوظيفة التركيبية هنا أعطته وظيفة المحور.

(جـ). زيد زائرٌ عمراً غداً (متق ، مف) المحور هنا عمر الذي وظيفته الدلالية متقبل ،مفعول.

موقع المحور الفاعل.

يحتل المكون الفاعل المسندة إليه وظيفة المحور قي الجملة الاسمية الموقع (فا) دائما شرط أن يكون عبارة محيلة مثل :

حقيبتك عندي ــ بحثك قرأته.

فا مح فا مح

. نمط الجملة الرابطية :

يفرق بينها وبين الجملة الاسمية بأن الأولى تشتمل على رابط (كان وأخواتها وأفعال الشروع في بعض الاحيان) وهي تختلف عن بنية الجملة

الفعلية في موقعي الرابط والمحمول ،ويحتل المحور في بنية هذه الجملة الموقع الذي تعطيه له وظيفته الدلالية أو التركيبية كما في المثال الآتي:

. كان السباق مشجعاً . نوع الجملة هنا رابطية والمحور هو السباق والذي خوله لشغل هذا الموقع وظيفته التركيبية (فا) أما في الأمثلة:

. اليوم كان سليم في الجامعة

في المحطة كان أحمد منتظراً يوسف

نجد أن المكونات اليوم وفي المحطة يحتلان الموقع (مﷺ) دون تخويل من وظيفتيه التركيبية والدلالية وذلك لتوافر قيدي الأحادية والإحالية.

نستنتج مما سبق :

. أن أنماط بنى الجملة في العربية تؤثر في موقع وظيفة المحور بالنسبة للمكونات.

. تخضع المكونات المسند لها وظيفة المحور إلى قيدين هما أحادية الإسناد والإحالية.

. تحتل المكونات موقع المكور بتخويل من الوظائف التركيبية والدلالية.

. الوظيفة البؤرة:

تعرف هذه الوظيفة بأنها الوظيفة التي تسند إلى المكون الذي يحمل المعلومة الأبرز والأهم في وضع تخابري معين ، حيث يعتقد المتكلم أن إدراج هذه المعلومة ضروري في مخزون السامع [1] تنتمي البؤرة إلى حقل المعلومات غير المشتركة بين المخاطَب والمخاطِب.

ويفرق في البؤرة . بحسب الوضع التخابري . بين عدد من الأنماط الفرعية لها فمن حيث الطبيعة تنمط إلى: بؤرة الجديد و بؤرة المقابلة ومن حيث المجال تنمط إلى: بؤرة الجملة وبؤرة المكون .

1. انظر قضايا العربية في اللسانيات الوظيفية ص 116.

. بؤرة الجديد : حسب تحديد سيمون ديك والذي أورده المتوكل [1] أن بؤرة الجديد هي البؤرة المسندة إلى المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب كما في الأمثلة:

عاد محمد من السفر البارحة

حدثني محمد البارحة عن رحلته

البارحة عاد محمد من السفر (لا اليوم)

كل الكلمات التي وضعت تحتها خطوط في الجمل السابقة هي بؤر جديدة لأنها لاتدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمتلقي ، وبؤرة الجديد بدورها صنفت إلى أنواع وهي:

. بؤرة الطلب : وهي تسند للمكون الذي يحمل معلومة لا تتوافر في المخزون الذهني للمتكلم كما في قولنا:

ماذا شربت بعد الأكل؟ المكون (ماذا) هنا هو الحامل للمعلومة التي لاتتوافر في ذهن المتكلم.

. بؤرة التتميم : وهي التي تسند إلى المكون الذي يدل على المعلومة المراد بها زيادة معلومات المخاطَب الذي كان متكلماً في بؤرة الطلب كما في:

شربت كوب حليب

. بؤرة المقابلة : يسند هذا النوع من البؤرة إلى المكون الذي يشير للمعلومة التي يحدث ورودها جدلاً بين المتخاطبين ، ومعنى ذلك أن المعلومة التي أضيفت إلى المخزون الذهني للمتلقي لا يملكها المتلقي إضافة إلى أنه تخضع للتعديل أو التصحيح أو التعويض وعلى هذا يكون التقابل بين مخزون المتكلم والمتلقي يضم عمليات التصحيح والتعويض والتعديل ، وكبؤرة الجديد صنفت بؤرة المقابلة إلى أنواع هي:

. بؤرة الجحود : وترد أغلب الأحيان في سياق النفي مثل : لم يذهب خالد إلى الجامعة (بنبر الجامعة) وهذه الجملة نفي لجملة ذهب خالد إلى الجامعة.

1. انظر الوظائف التداولية ، ص،28.

. بؤرة التعويض : تسند هذه البؤرة للمكون الذي يحمل معلومة تعوض معلومة أخرى يرى المتكلم أنها غير واردة مثل: يقطن محمد في لندن . بل يقطن في مدريد .

فلفظة مدريد في المحاورة السابقة هي المكون الذي يحمل معلومة يراها المتكلم غير واردة في ذهن المتلقي.

. بؤرة التوسيع : وتسند هذه البؤرة للمكون الذي يحمل معلومة يضيفها المتكلم ليكمل بها معلومة المتلقي مثل كلمة طرابلس التي يرى المتكلم أنها ناقصة في مخزون المتلقي فيوردها في خطاب يوجهه للمتلقي :

لا ، لم أحمد إلى طرابلس فحسب بل كذلك إلى بنغازي.

. بؤرة الحصر : وتسند هذه البؤرة للمكون الذي يحمل معلومة تحصر فيها مجموعة من القيم في قيمة واحدة شرط أن تكون هذه القيم واردة في المخزون الذهني للمتلقي مثل:

ما يدرس أحمد إلا الفيزياء . بؤ حصر

إنما يدرس أحمد الفيزياء. بؤ حصر

. بؤرة الانتقاء : وهي تسند للمكون الحامل للمعلومة المنتقاة هذه المعلومة تختار من بين مجموعة من المعلومات التي يتردد المخاطَب في أيها المعلومة الواردة مثل : النحو درس محمد .

. بؤرة التثبيت : وتسمى المصادقة وهي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يصادق المتكلم على ورودها مثل: الذي يدرسه محمد النحو .

أما تنميط البؤرة من حيث المجال فهو ينقسم إلى :

. بؤرة المكون : ويقصد به أن مجال التبئير يشمل مكون من مكونات الجملة مثل:

عاد مصطفى من السفر البارحة .

عن مقالته حدثني عمر البارحة .

إنما رأيت البارحة فاطمة.

. بؤرة الجملة : وتسند فيها البؤرة سواء أكانت بؤرة الجديد أو المقابلة للجملة وليس لمكون من مكوناتها مثل:

(1) (أ) عمرو عاد أخوه من السفر.

(ب) زيد مسافر.

(ج) هل عاد زيد من السفر؟.

(2) (أ) إن مالكاً مسافر.

(ب) إنما مالك مسافر.

(ج) أحضر الضيوف أم لا؟ .

الجمل التي تحتها خط هي جمل تحتوي بؤراً ولكي نفرق بين بؤرة الجديد والمقابلة في هذه البؤر يقترح المتوكل([1]) رائزسؤال وجواب على نمط ما الخبر ؟ ، ما الجديد ؟ ، ماذا عندك؟ وتعدُّ الأجوبة التي تكون طبيعية جملاً مسند إليها بؤرة الجديد ، أمّا الجمل التي تشكل أجوبتها نمطاً غير ذلك كأن تصدر تلك الأجوبة . والتي هي في الأساس جمل حاملة للبؤرة . بأدوات مؤكِّدة من قبيل إن وإنما وقد ولتوضيح ذلك نورد الجمل الآتية :

س . ما الخبر؟

ج1 . غادر محمد بيته . بؤ جد ،

ج2 . محمد مريض . بؤ جد

قد غادر محمد بيته . بؤ مقاة

إن زيداً مريض . بؤ مقا

إنما زيد مريض. بؤ مقا

وفي صدد الحديث عن بؤرة الجملة أود الإشارة إلى البؤرة في الجملة الاستفهامية فقد ميز المتوكل ([2]) بين نوعي البؤرة وذلك من حيث اختلاف الطبقات المقامية التي تطابق كل منهما وارتكز تميزه على دليلين اثنين هما :

1 . انظر المصدر نفسه ،ص،32.

2 –انظر المصدر نفسه ،ص 29.

1 . مطابقة كل من النوعين لطبقات مقامية متمايزة تختلف عن الطبقات المقامة التي يظهر فيها.

2 . ظهور كل منهما في أنماط بنيوية مختلفة .

ويمثل لذلك بما يلي :

تطابق بؤرة الجديد الطبقة المقامية (ط ق 1) وهي تعني (مقام1) وفي هذا المقام يعتقد المتكلم أن المخاطَب يجهل المعلومة التي يقصدها .

(مقام2) المتكلم هنا يجهل المعلومة ويطلب من المخاطب إعطاءه إياها ويظهر هذا المقام في حالة الاستفهام.

أما بؤرة المقبلة فهي تطابق طبقتين مقاميتين هما :(ط ق 2) و(ط ق3) . وتحتوي (ط ق2) على مقامين هما ؛

(مقام 1) : وفي هذا المقام يتوافر للمخَاطب مجموعة من المعلومات حيث يقوم المتكلم بانتقاء معلومة للمخاطب يعتبرها واردة.

(مقام2) : يتوافر للمتكلم مجموعة من المعلومات ويطلب من المخاطب أن ينتقي له المعلومة الواردة ويكون ذلك في حالة الاستفهام.

. الطبقة المقامية الثانية لبؤرة المقابلة (ط ق3) يتوافر فيها للمخاطب المعلومة التي يعتبرها المتكلم معلومة غير واردة ويصحح المتكلم هذه المعلومة.

ويميز في هذه المقامات بين مقامات الإخبار ومقامات الاستفهام حيث تنقسم مقامات البؤرة إلى مقامات إخبار ومقامات استفهام وتنقسم مقامات الإخبار إلى بؤرة الجديد وتنقسم إلى (ط ق 1:مقا1)وبؤرة المقابلة وتنقسم إلى(ط ق2: مقا1) و(ط ق3) ، أما مقامات الاستفهام فهي تنقسم أيضاً إلى بؤرة الجديد التي تنقسم إلى (ط ق1: مقا2)وبؤرة المقابلة وتنقسم إلى(ط ق2: مقا).

وبالإضافة إلى الدليلين السابقين أتى المتوكل بدليل ثان اتخذه أساساً للتميز بين نمطي البؤرة ويقوم هذا الأساس على أن البؤرة في اللغة العربية تظهر في أنماط بنيوية رئيسة هي:

. بنى يتصدر فيها المكون المبأر الجملة مثل : البارحة ذهب علي إلى السوق .بنبر البارحة بؤ مفا

. بنى موصلية المزحلق فيها المكون المبأرمثل: الذي رأيته البارحة مصطفى (لا خالد) بؤ مقا

. بنى حصرية مثل : ما درست عائشة إلا الأدب.

فإذا اشتمل هذا النوع من الجمل على اسم استفهام فإنه في هذه الحالة لا يمكن اعتبار الجمـلة المشتملة على بؤرة المقابلة أجوبة طبيعية للأسئلة وتفسح المجال في هذه الحال أمام الجمل التي تحتوى على مكون مسند إليه وظيفة بؤرة الجديد لتحل محلها كما في الأمثلة الآتية:

س . من زرت البارحة ؟ .

ج . صديقي زرت البارحة .أو زرت البارحة صديقي . بؤجد

والسبب في هذا التحول إلى نسق بؤرة الجديد في الجملة هو أدوات الاستفهام واعتمد في تفسير هذا الأمر على تفريق النحاة القدامى بين الاستفهام بالهمزة والاستفهام بهل ، فبؤرة الجديد تأتي في الجمل الاستفهامية التي تصدر بـ(هل) وأسماء الاستفهام الأخرى في حين بؤرة المقابلة تأتي مع الهمزة فقط ،غير أن هذا النسق من الممكن اختلاله ومن هنا لايمكن اعتباره مطردا لأنه من الجائز أن تأتي هل مع بؤرة المقابلة وعندها علينا أن نلجأ إلى ظاهرة التنغيم حتى تؤدي دورها في تعيين وظيفة ببؤرة المقابلة في جواب جملة استفهامية صدرت بـ(هل).

. قيود إسناد وظيفة البؤرة .

بالنسبة لبؤرة الجديد فإنها تسند إلى أى مكون داخل الجملة دون النظر لوظيفته الدلالية أو التركيبية التي يحملها ، أما بؤرة المقابلة فإن هناك شرطين يضبطان إسناد هذه الوظيفة في البنيات الموصلية وهما:

. أن يكون المكون المبأر في هذا النمط من البنى قابلاً لحالة الإعراب الرفع.

. أن يكون المكون المبأر قابلاً للإضمار.

. الوظائف الخارجية: وهي ثلاث وظائف (المبتدأ ، الذيل ، المنادى)

. المبتدأ: وله اتجاهان الأول يحدد فيه مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل الموالي وارداً بالنسبة إليه مثل :

محمد فاز أخوه تتكون هذه الجملة من ركنين : حمل (فاز أخوه) ومبتدأ (محمد) الثاني يكون فيه المبتدأ قابلاً للإحالة على ما بعده بحيث يكون المخاطب قادراً على معرفة ما يحيل عليه المبتدأ فلو كانت الإحالة على شيء مجهول سيكون ذلك لحن تداولي، ولأن المبتدأ هو الذي يحدد مجال الخطاب لما يأتي بعده [1] يكون هو موضوع الحديث أو الموضوع الذي يرتكز عليه الحديث مثل:

أحمد خلقه حسن.

أحمد سافر أخوه.

أحمد رجع من الرحلة مسرورا.

في الجمل السابقة نلحظ أن موضوع الحديث هو أحمد وهو مبتدأ ،ويرى المتوكل أن وظيفة المبتدأ وظيفة تداولية ، لأنها ترتبط بالسياق الداخلي والخارجي ولا نستطيع تحديد هذه الوظيفة إلا من خلال فهم الوضع الاتصالي بين المتكلم والمتلقي والذي يمثل السياق الخارجي ، هذا السياق الذي يُعد خاصية يشترك فيها المبتدأ مع الوظائف التداولية الأخرى ،ويتميز بها عن الوظائف التركيبية والدلالية، أما من حيث السياق الداخلي فإن قولي أحمد يعني أنني سأخبر شيئا عنه وهذا أمر بديهي فمجرد نطقي لاسم أحمد

1انظر المصدر نفسه ،ص 115.

سيدرك المتلقي أنني أتكلم عن شخص معين نعرفه كلينا، ومن مقولات المبتدأ في اللغة العربية:

. المركب الاسمي : تكون البنية الحملية له على الشكل الآتي: [مبتدأ + بنية حملية] وينتج عن هذه البنية ثلاث حالات هي:

. مركب اسمي مصاحب للنداء مثل : القهوة يا عائشة

. مركب اسمي ينصب عليه الاستفهام مثل: أهندا قابلت اليوم؟

. مركب اسمي موجه مثل : قابلت الطالب المجتهد الحسن خلقه

يلاحظ أن هذه البنى التي تولدت عن البنية الرئيسية مختلفة عنها لأنها تعرب حسب موقعها في الجملة.

. الجملة مثل : أما أنك قد نجحت في الامتحان ، فذلك ما كنت أتوقع .

. الضمير الذي يحيل على الجملة الحملية : وهو الضمير الذي يطلق عليه النحاة ضمير القصة مثل:

[هو ،عمر قائم.] وهذا الضمير يحيل إلى اسم بعده ومن أمثلة ذلك قوله تعالى **{قل هو الله أحد}** الإخلاص:1 فالفعل قل هنا فعل إنجازي ومنجزه جملة (هو الله أحد)والضمير يعود على لفظ الجلالة الذي جاء بعد الضمير([1]).

. إحالية المبتدأ:

يعد شرطاً ضرورياً للمبتدأ حتى يتمكن المتلقي من التعرف على ما تحيل عليه العبارة ([2])، والإحالية معيار تداولي فمثلا قولك : رجل هاجر أباه هي جملة لاحنة في مقابل أحمد هاجر أباه والسبب في ذلك أن الإحالية ترتبط بالمقام أو المعرفة المشتركة بين المتكلم والمتلقي.

1 . انظر علم الدلالة وعلاقته بعلم الأنثربولوجيا ، صلاح حسنين ، دار الكتاب الحديث ، 2008م – الجزائر ،ص201 .

2. انظر الوظائف التداولية ، ص 120 .

. موقع المبتدأ :

نستطيع تبين موقع المبتدأ من خلال أنماط الجمل الفعلية والاسمية والرابطية ويحتل المبتدأ باعتباره وظيفة تداولية الموقع (م2) ويعدُّ هذا الموقع خارجيا في الوظائف التداولية عن البنية الحملية للجملة مثل :

أحمد أخوه مسافر عند النظر في هذه الجملة نلحظ أنها تشير إلى محتوى قضية وهو أن أخا أحمد سافر ثم صيغت الجملة في قالب بنية حملية تكونت من موضوع . محمول ثم صيغت هذه البنية في قالب نحوي وهو قالب الجملة الاسمية: موضوع محمول فاعل صفة

أبو أحمد مسافر

والذي حدث أنه تم تفكيك بناء الجملة مراعاة للمقام وقدم أحمد إلى موقع المبتدأ (م2) ليصبح محمور الحديث فصار بناء الجملة:

أحمد أخوه مسافر

هذا البناء مكن أحمد من احتلال الموقع (م2) فصارت لديه وظيفة المبتدأ وهي من الوظائف التداولية الخارجية ونعتمد رأي النحاة القدامى في التحليل النحوي لهذه الجملة فهي تتكون عندهم من مبتدأ+جملة وتؤول هذه الجملة على أنها خبر التي تحلل بدورها إلى مبتدأ ثان +خبر ،أما التحليل الوظيفي لهذه الجملة فهو مختلف فـ(أحمد) يحتل الموقع (م2) وتسند إليه وظيفة تداولية لا نحوية وهي (المبتدأ) وتسند لـ(أخوه) وظيفة الفاعل وهي نحوية ووظيفة المحور وهي تداولية ،أما كلمة (مسافر) فهي محمول الجملة وتسند لها وظيفة تداولية هي التعليق أو الخبر ، ونستنتج من هذا الوصف أن المبتدأ لا يقع داخل البنية الحملية بل خارجها ويقدم المتوكل ([1]) مجموعة من الأدلة التي يرى بأنها كفيلة. بجعل المبتدأ مكوناً خارج البنية الحملية وهي:

. المبتدأ لا يخضع لقيود الانتقاء التي يضعها الفعل لموضوعاته كما في مثل: القصيدة ، شرب مؤلفها شاياً.الفعل شرب هنا يختار موضوعيه (الفاعل

1 – انظر المصدر نفسه ، 120– 122 .

والمفعول) بقيدي (حي) وهو المؤلف باعتباره كائناً حياً والقيد الثاني (سائل) وهو الشاي على التوالي لكن هذا الفعل لا يقوم بانتقاء المبتدأ وهو القصيدة.

. عدم تطابق المبتدأ مع محمول الجملة فمثلا عندما نقول : أحمد ، أختاه مجتهدتان ولا نستطيع أن نقول أحمد، أختاه مجتهد ومن هنا نلاحظ أن أحمد وهو المبتدأ لا يتطابق مع محمول الجملة وهو أختاه مجتهدتان.

. عدم دخول المبتدأ في القوة الإنجازية للجملة يجعله مكون خارجي حيث تكون هذه القوة منصبة فقط على الحمل كما في مثل : أحمد ، أنجح في الامتحان أم فشل؟ القوة الإنجازية هنا تحققت بفضل الاستفهام ولذلك كان ما قبل الاستفهام خارج القوة الإنجازية ، وليس معنى أن يكون المبتدأ خارج بنية الحمل أن تليه أي جملة وما يدعم هذا تعريف المبتدأ نفسه والذي يلزم أن يكون الحمل وارداً للمخاطب.

. المبتدأ والوظائف الداخلية.

هناك إشكال أردت الإشارة إليه وهو أن المبتدأ يتصدر الجملة وهنا تتقاطع وظيفة المبتدأ مع وظائف المحور والبؤرة والذيل لأنها تتصدر الجملة في بعض الأحيان فهل ينظر لها على أنها مبتدأ أوأنها تختلف عنه؟ للإجابة عن ذلك أورد المتوكل [1] ثلاث مقابلات بين المبتدأ والمحور والمبتدأ والبؤرة والمبتدأ والذيل

. المبتدأ والمحور:

يتشابه كل منهما في عدة جوانب أهمها:

. يقوم كل منهما على فكرة أنه محدث عنه.

. تجاورهما من حيث الموقع .

. تماثل الحكم الإعرابي لكليهما فيرفع المحور في أغلب الأحيان.

. خضوع كل منهما لقيد الإحالية إذا كان المحور متصدراً للجملة.

ويختلف المبتدأ عن المحور في:

1 . انظر المصدر نفسه ، ص130 وما بعدها .

- المبتدأ وظيفة خارجية في حين المحور وظيفة داخلية تنتمي للحمل ويشكل موضوعاً من موضوعات المحمول ويترتب على ذلك نيله وظيفة دلالية وتركيبية وهذا على عكس المبتدأ الذي يعدُّ خارج البنية الحملية.
- يختلف المحور عن المبتدأ من حيث موقع في بعض الأحيان فالمحور ليس دائم التصدر للجملة وإذا جاء في بداية الجملة فإنه يحتل الموقع (م∅) إذا كان غير فاعل و(فا)إذا كان فاعلاً ولايحتل الموقع(م2).
- يخضع المحور لقيد الإحالية إذا كان متصدراً للجمل في حين يصدق هذا القيد على المبتدأ دائماً.

. المبتدأ والبؤرة:

تتشابه الوظيفة البؤرة مع المبتدأ في حالة واحدة وهي عندما تكون البؤرة بؤرة مكون من حيث المجال وبؤرة مقابلة من حيث النوع فبؤرة المقبلة هي التي يمكنها تصدر الجملة ويفرق بينها وبين المبتدأ أن المبتدأ يحمل معلومة تدخل في نطاق المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب في حين البؤرة تحمل معلومة جديدة لاتدخل في حيز المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب.

. الذيل : وهو المكون الذي يقوم بوظيفة توضيح المعلومة الواردة داخل الجملة أو تعديلها أو تصحيحها وينقسم الذيل وفقاً لذلك إلى ثلاثة أنواع هي:

. ذيل التوضيح : ويكون في الخطاب الذي يعطي فيه المتكلم المعلومة ولنفترض أنها (س) ثم يدرك أنها ليست واضحة بالقدر الكافي فيقوم بإضافة المعلومة (سَ) لغرض التوضيح كما في مثل :

رجع أبوه من الحج ، فحين يسكت المتكلم بعد هذه الجملة ستعتري المستمع الدهشة بسبب عدم وضوحها فيضيف المتكلم لفظة(أحمد) لتوضيح غموض ضمير الغائب في أبوه فتصير الجملة :

رجع أبوه من الحج ،أحمد وإذا ما أرجعنا الجملة إلى أصلها سنجدها بهذا الشكل : أحمد رجع أبوه من الحج والذي حدث أنه تم تفكيك الجملة وزحلق أحمد إلى اليسار ليحتل موقع الذي ويوضح معلومة داخل الجملة.

. ذيل التعديل : ويكون في الخطاب الذي يعطي فيه المتكلم المعلومة (س) ثم يكتشف أها ليست المعلومة المراد إعطاؤها فيضيف المعلومة (سَ) التي عدّلها كما في مثل:

ساءني خالد ثم يقوم المتكلم بإضافة لفظة (كسله) فتصير الجملة : ساءني خالدٌ، كسله ففي الجملة الأولى فهم المستمع أن خالد ساءني ثم جاءت الجملة الثانية لتعدل وتفيد أنه ساءني من خالد كسله فقط.

. ذيل التصحيح : ويكون في خطاب يعطي فيه المتكلم المعلومة (س) ثم يدرك أنها المعلومة الخطأ فيضيف المعلومة (سَ) بقصد التصحيح وتحل هذه المعلومة محل المعلومة(س) كما في مثل: رأيت اليوم عائشة بل فاطمة ، فالمعلومة الأولى والتى تقول بأن التي تمت رؤيتها هي عائشة تأتي المعلومة الثانية لتصححها بعد التنبه للخطأ ،وما نلاحظه أن الذيل يقع دائماً في آخر الجملة وبالرغم من أنه مكون له وظيفة خارجية فهو يرتبط بالحمل برباط تداولي لأنه يضاف لتوضيح أو تصحيح الجملة أو تصحيحها

ونستنتج مما سبق أن الذيل مكون له وظيفة خارجية ويرتبط مع الحمل بواسطة ضمير وهو بهذا يشبه المبتدأ لكنه يختلف عنه في كون الضمير ضرورياً في البنيات المذيلة بعكس البنيات المصدرة بمبتدأ ، أضف إلى ذلك أن الذيل يضارع المكون الحملي الذي يعدله أو يصححه ،إلاَّ أنه قد يحدث التباس بين الوظيفة الذيل والمبتدأ المؤخر من خلال وصف النحاة القدماء له الذين فرقوا بين المبتدأ في صدر الجملة والمبتدأ في آخرها معتمدين على الموقع ، ولإزالة هذا اللبس حدد المتوكل مجال كل منهما فالمبتدأ من حيث المفهوم يحدد مجال الخطاب الذي يعد الحمل بالنسبة له وارداً أما الذيل فإنه يضيف إخبارا من شأنه توضيح ما جاء في الجملة أو تعديله أو تصحيحه، ومن حيث آلية إنتاج الكلام فإنه في المبتدأ يضع المتكلم أولا المحدث عنه

ثم يحمل عليه الجملة الواردة أما الذيل فإن المتكلم ينشئ الجملة أولاً ثم يضيف إليها التوضيح أو التصحيح أو التعديل.

. موقع الذيل : يحتل المكون الذيل الموقع(م3) مهما كان نوعه ذيل توضيح أو تعديل أو تصحيح ويرجع المتوكل[1] **سبب احتلال** الذيل الموقع (م3) إلى عملية إنتاج الخطاب التي تمر بثلاث مراحل هي:

. تحديد المتكلم لمجال الخطاب.

. بناؤه حملاً اعتماداً على مجال الخطاب الذي حدده مخبراً أو مستفهماً أو آمراً.

. يقوم المتكلم بعد ذلك بإضافة المعلومة التي يستدرك بها معلومة واردة في الحمل ليوضحها أو يصححها أو يعدلها.

. المنادى : أضيفت هذه الوظيفة من قبل أحمد المتوكل [2] فهو لم يكتف بالوظائف الأربع التي اقترحها سيمون ديك وعلل لذلك بأن المنادى مكون يرد ويشيع في جميع اللغات إضافة إلى أن الوصف اللغوي الساعي للكفاية اللغوية لا يمكنه إغفال المنادى خاصة أنه يرد في اللغة العربية بشكل مطرد ولافت والمقصود بالمنادى المكون الذي يدل على الذات التي تشكل محل النداء ، وتسند هذه الوظيفة للمكون الدال على الكائن المنادى ، ويرى المتوكل ضرورة التفريق بين النداء باعتباره فعلاً لغوياً كالإخبار والاستفهام والأمر والمنادى باعتباره علاقة ووظيفة يرتبط إسنادها بالمقام والعلاقة بينهما علاقة تلازم فحيث النداء يوجد المنادى ، وقد قسم المتوكل المنادى إلى أنواع هي: منادى النداء ،منادى الندبة ، منادى الاستغاثة ومن الأمثلة على ذلك: يا أحمد اجتهد ، وا معتصماه ،يا لعمرو لما أصابنا.

ويشترط المتوكل لكي تسند وظيفة المنادى للمكون المقصود بالنداء شرطين هما:

---

1 . انظر المصدر نفسه ، ص 157-159.

2 – انظر المصدر نفسه ، ص 160 .

. أن يحيل المكون المنادى على كائن حي فإذا دل على جماد فهو بحسب ضوابط العربية ليس منادى فلا نقول يا مسجد وصل الإمام.

. أن يكون المكون المنادى محيلاً على المخاطب فلا يحيل على متكلم أو غائب.

وتسبق المكون المنادى أداة نداء مثل : يا ،أيها ،أ ،وهي عند النحاة القدامى ثماني أدوات ويرى المتوكل أنه بالإمكان تقليصها لتصير أربعة هي: أ(الهمزة)، أيها ، ويا، وأن هذه الأدوات . وفقا لقواعد النحو الوظيفي .

من الممكن إدماجها على أساس المعلومات الموجودة في البنية الوظيفية عن طريق تطبيق قواعد التعبير التي تنقل البنية الوظيفية للجملة إلى بنية مكونات كما في المثال الآتي:

ياعلي ،جاء الإمام تمثل البنية الوظيفية لهذه الجملة كما يلي:

(ص: أحمد (ص)) [جاء ف (س1 :الإمام (س1)) مف فا مح]

منا بؤجد

وقاعدة إدماج أداة النداء في البنية الوظيفية تقوم عل أساس المعلومة الوظيفية (منا(دَى) بعد الدمج تصير (منادى)والتي يحملها المكون (ص)وهو المكون المدعو ولا يتم إدماج الأدوات الأربع بصورة اعتباطية بل يخضع هذا الإدماج لعدة شروط منها:

. يسبق المكون الحامل لوظيفة المنادى بأداة النداء الصفر أو أداة النداء يا أو أيا إذا كان علماً مثل أحمد ، ناولني الكتاب . ياأحمد اجتهد . أعمرو ،بر والديك.

. إذا كان المكون المنادى معرفا بأل فأنه في هذه الحال لا يسبق إلا بأداة النداء أيها كما في :

أيها الطالب ،اكتب.

فإذا سبقت بغيرها من أدوات النداء لايستقيم الأمر كما في:

يا الطالب ،اجتهد. ، الطالب ،اجتهد. ، آ الطالب ،اجتهد.

. إذا كان المكون المنادى نكرة وغير مخصص بأل فإنه في هذه الحال لا يسبق إلا بأداة النداء يا كما في: يا امرأةً ، أقبلي.

. إذا كان المكون المنادى مركباً إشارياً بأداة النداء يا أو الهمزة.

نلاحظ مما سبق أن إدماج أدوات النداء يخضع لما يعرف بمخصص المكون المنـادى ولذا تختلف أدوات النداء باختلاف مخصص هذا المكون ويرمز المتوكل ([1]) قواعد الإدماج كما يلي:

. قاعدة إدماج أداة النداء الصفر: دخل (input) : (ص ي) منا ، خرج (output) : (ص ي) منا.

شرط (ص ي)= اسم علم ، مركب إضافي.

قاعدة إدماج أداة النداء يا: دخل: (ص ي) منا ، خرج: (يا ص ي) منا.

شرط (ص ي)= اسم علم ، مركب إضافي ، مركب إشاري ، جملة موصول بـ (من)مركب اسمي نكرة.

قاعدة إدماج أداة النداء الهمزة: دخل : (ص ي) منا ، خرج : (أ ص ي) منا.

شرط : (ص ي)= اسم علم ، مركب إضافي ، جملة موصول بـ (من).

قاعدة إدماج أداة النداء أيها : دخل : (ص ي) منا ، خرج : (أيها ص ي) منا.

شرط: (ص ي) = مركب اسمي معرفي ، مركب إشاري ، جملة موصول بـ (الذي).

. موقع المكون المنادى: حسب النحو الوظيفي يحتل المبتدأ والذيل الموقعين (م2 ،م3) وطبقا للبنية الوظيفية الموقعية للجملة الفعلية والاسمية والرابطية يحتل المكون المنادى الموقع (م4) ويعدُّ هذا المكون مكوناً يشغل وظيفة خارجية شأنه في ذلك شأن وظيفتي المبتدأ والذيل.

---

1 . انظر المصدر نفسه ، ص170 .

وخلاصة القول، أن الوظائف التداولية تعمل على تبين وفهم مقاصد الحوار بين المتكلم والمتلقي وذلك عن طريق ضوابط تتحكم في الخطاب، فهي ذات فائدة في قدرتها على تحليل الجملة تحليلاً دقيقاً وواضحاً يظهر مكونات الجملة الداخلية ، وما يلاحظ هنا أن هذه الوظائف لكي تعمل يجب أن يتوفر طرفا خطاب يربط بينهما وضع تخابري معين في سياق معين ومن هنا نستنتج أن هذه الوظائف إذا ما استعملت في تحليل خطاب أدبي فيجب أن يحوي هذا الخطاب الأدبي موضوعاً حوارياً وهذا الأمر لا يتوافر إلا في النص المسرحي أو القصصي ذلك أن هذا النوع من النصوص يقوم على الحوار والتفاعل بين الشخصيات المختلفة في سياقات مختلفة خاصة وأن هدف النظرية التداولية إظهار الفروق بين المستويات التداولية للتراكيب وفقا للسياق الذي ترد فيه ،ويبقى أن أشير في نهاية المطاف إلى أنه من الجيد قبول اللغة العربية تطبيق هذه النظرية عليها خاصة وأن نظرية الوظائف التداولية ترمّز مواقعها برموز قواعد رياضية ومنطقية.

المصادر و المراجع .

1. الإنشاء وأساليبه بين ألفية ابن مالك والنحو الوظيفي ،نعيمة الزهري، عالم الكتب الحديث ،ط1.2006، المغرب.
2. التركيبات الوظيفية ،احمد المتوكل ،دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1.2005م، المغرب.
3. علم الدلالة وعلاقته بعلم الأنثربولوجيا، صلاح حسنين، دار الكتاب الحديث، د.ت 2008م، الجزائر.
4. لسان العرب ، ابن منظور، تصحيح أمين محمد ومحمد الصادق.
5. اللسانيات الوظيفية،أحمد المتوكل ، منشورات عكاظ ، ط1. 1989م،المغرب.
6. المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، أحمد المتوكل، دار الأمان ،ط1.2006م، المغرب
7. نحو اللغة العربية الوظيفي في مقاربة أحمد المتوكل ،عبد الفتاح الحموز، دار جرير للنشر والتوزيع،ط1. 2012م، الأردن.
8. النظرية اللسانية عند رومان جاكبسون ، فاطمة الطبال ، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع ، ط1 . 1993م، بيروت.

9. الوسائط اللغوية(اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية) محمد الأوراغي ، دار الأمان ط1 –2001م ،المغرب
10. الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل،دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1. 1985م، المغرب.
11. الوظيفة والبنية مقاربة وظيفية لبعض قضايا الترتيب في العربية، أحمد المتوكل ،منشورات عكاظ،1993.
12. الوظيفة بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، دار الأمان ،ط1.2004م، المغرب.